

مدى الكرمل

المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية

برنامج دراسات إسرائيل



فلسطينيو الداخل وهبة أكتوبر 2015

ملف رقم 7، 2015

تحرير: امطانس شحادة

الإعلام الإسرائيليّ: هكذا تقول الرواية!

فراس خطيب

حيفا

كانون الأول 2015

الإعلام الإسرائيليّ: هكذا تقول الرواية!

فراس خطيب*

منذ قيام إسرائيل عام 1948، قام الإعلام الإسرائيليّ بدور جوهري في صياغة الرؤية الصهيونيّة وتحويل النظرية أو «المبدأ» إلى ممارسات يوميّة من خلال التغطية. في مقابل وجود مساحات مناورة واسعة في الإعلام العبري، ولا سيّما في القضايا الإسرائيليّة الداخلية، ثمة أبواب حديدية موصدة وإجماع في ما يتعلق بالرواية التاريخيّة الصهيونيّة.

بعبارات أخرى، يخوض الإعلام الإسرائيليّ (وهو إعلام متين مادّيًا وجماهيريًا) حروبًا داخلية مع السياسيين ورؤوس الأموال، ويدعم شخصيات ويحبط أخرى، لكنّ هذه المساحة تضيق إذا تحولت القضية المطروحة إلى أمنية أو تاريخيّة متعلقة بالفلسطينيين والعرب.

قد يدّعي البعض أنّ هناك وسائل إعلام إسرائيليّة غطّت أحداثًا فلسطينيّة تغطية جيّدة. وهذا صحيح. لكن هذا لا يلغي الرؤية الكبرى التي تحرّك الإعلام. وسنأتي على بعضها. أدّعي في ورقة الموقف هذه أنّه على الرغم من قوة الإعلام العبري لا تزال السياسة أقوى. بعبارات أخرى، ينظر الإعلام العبري عمومًا إلى تغطية قضية الفلسطينيين من منظور المؤسسة الإسرائيليّة والمشروع الصهيونيّ. هذه الرؤية، في كثير من الأحيان، تغطى على الاعتبارات النقدية والمهنية. بيد أنّ هذا الواقع لا يمنع أن تحظى بعض وسائل الإعلام الإسرائيليّة بإعجاب جزء لا يستهان به من الفلسطينيين داخل إسرائيل، وقد يعود هذا لأسباب كثيرة، من أهمها عدم وجود إعلام عربيّ محليّ قويّ يتكل عليه الفلسطينيون في إسرائيل، فضلًا عن غياب النقاش الحقيقي حول دور الإعلام الإسرائيليّ.

بغية توضيح ادعاءات ورقة الموقف هذه، أسلّط الضوء على قضيتين هامتين تظهران جليًا (أو على نحوٍ خفيّ) في الإعلام العبري، ولا سيّما في أوقات الصراع. الأولى هي رؤية «الإسرائيليّ أولًا» كأفضلية، وتغطية الأحداث بما يلائم هذه الرؤية. بينما يركّز المحور الثاني من الورقة على حضور الرواية التاريخيّة، حضورًا مباشرًا أو غير مباشر أثناء التغطية؛ وهذا يضع الفلسطينيين في مكانة «الأخر»، ويتحول التعاطي الإعلامي إلى صراع على الهواء أو بين السطور. في المقابل، يمنح الإعلام العبري مساحة للفلسطينيين الذين يتنصّلون من الرواية

* صحافيّ فلسطينيّ يُعدّ رسالة الدكتوراه في موضوع الإعلام السياسي، في جامعة دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا في لندن



• الإعلام الإسرائيلي: هكذا تقول الرواية! •

الفلسطينية ويختزلون وجود الفلسطينيين. وتُخلص الورقة إلى أنّ الإعلام الإسرائيلي، وإن كان قد أدّى دوراً مركزياً في القضايا الداخلية ونشر عدّة فضائح هزت أركان الدولة، لا يزال تابعاً للمؤسسة الإسرائيلية وللمشروع الصهيوني في القضايا الجوهرية المتعلقة بوجود الصراع مع الفلسطينيين والعرب، ويتّبع -ربما دون دراية- الرؤية الأمنية والسياسية العليا، حتى في خضم الخلاف مع مهندسي هذه السياسات.

(1)

«إسرائيل قبل كل شيء»

في إحدى مقابلاته التلفزيونية مع القناة الإسرائيلية العاشرة، لم يُخفِ النائب في الكنيست الإسرائيلي يانون مغال (البيت اليهودي) تصوّره السياسي أثناء موجة الأحداث الأخيرة في القدس، وشدد على «عدم» وجود شعب فلسطيني، وضرورة «بتر الأمل» في إقامة دولة فلسطينية¹.

ما قاله مغال ليس غريباً عن الحلبة الإعلامية الإسرائيلية التي يهيمن عليها الخطاب اليميني، لكن الملاحظ فعلاً من تصريحات كهذه أنّها تجمع بين الرؤية الأمنية اليمينية التي تعارض إقامة دولة فلسطينية لدوافع أمنية، ورؤية المعسكر الصهيوني المتدين، ومنها «حق» الاستيطان في الضفة الغربية، أو ما يُعرف بالهيمنة على «أرض إسرائيل الكاملة».

لن أناقش من خلال هذه الورقة سيطرة اليمين العلماني أو المتدين على الخطاب الدائر في إسرائيل، وكيف يتخذ هذان التياران الرؤية ذاتها التي تعتمد على التوراة كمرجعية، لكن ما يهمّ فعلاً من المقدمة أعلاه هو الخلفية المهنية لمغال الذي دخل المعتكك السياسي إثر «بروزه» الإعلامي، بعد أن أشغل مناصب هامة في وسائل الإعلام الإسرائيلية المركزية، ويبدو من البديهي الافتراض أنّ مواقفه السياسية التي يجاهر بها الآن رافقته أيضاً خلال عمله الصحافي.

أثناء الحرب الأخيرة على قطاع غزة (ما أطلق عليه إسرائيلياً «الجرف الصامد» -عام 2014)، أشغل مغال منصب رئيس تحرير موقع «والا» الإسرائيلي، وهو من أكبر المواقع الإلكترونية العبرية وأقدمها، وأطلق الموقع حملة «قومية» عنوانها «أنا إسرائيلي أولاً»، وكان

1. «عضو الكنيست مغال: يجب إطلاق النار على رأس كل شخص يهدد بالسكين»، مقابلة في القناة العاشرة بتاريخ 11.10.2015: http://news.nana10.co.il/Article/?ArticleID=1152196_

• الإعلام الإسرائيلي: هكذا تقول الرواية! •

مغال من مهندسي هذه الحملة.²

كان شعار الحملة صريحاً إلى حد العيب، وكأنّ مُفاده أنّنا نُسيّر الإعلام كي يخدم حاجاتنا القوميّة، وما يحدث فعلاً ميدانياً ننقله ضمن صيغة تخدم رؤية «الإسرائيليّ أولاً»، فالحقيقة ليست ما يجري ميدانياً فعلاً، وإنّما هي مرتبطة بما يراه المسؤولون ضرورياً ومناسباً. ويبدو جلياً أنّ «الإسرائيليّ أولاً» لا تخلق صراعاً بين الإسرائيليّ و«الآخر» فحسب، بل تعيد صياغة بنية الإسرائيليّ-المتلقي للخبر- لتجعله خاضعاً لمصلحة يكتبها الإعلاميون.

حين كان مغال ينتقل بين أستوديو وآخر دفاعاً عن حملته هذه، كان واضحاً أنّ ظهوره وتبريراته تختزل حال الإعلام الإسرائيليّ وتعاطيه مع الصراع الدائر منذ عشرات السنين. كانت الحملة بمثابة عرضٍ مجانيّ من قبل صحافيين للتجنّد الطوعي لصالح السياسات الإسرائيليّة.

مهما حاول مغال ورفاقه تلميح رؤيتهم هذه وتقميشها بكلام جميل عن اللغة القومية الجامعة، ستظل حملة كهذه تشبه خطابات الديكتاتوريين المقتنعين بأنّ سيطرتهم على الإعلام وحرّيّة التعبير تصب في مصلحة الشعب والدولة، وليس من قبيل المصادفة أنّ أبواق السلطة كانت دائماً تحت مسميات قومية.

لكن رغم هذا، تجب الإشارة إلى أنّ هناك فرقاً واضحاً بين الإعلام الإسرائيليّ والإعلام الخاضع للديكتاتوريات؛ فالإعلام الإسرائيليّ ليس مجنّداً من قبل المؤسسة، وليس مرتبطاً ارتباطاً كاملاً بمصادر تمويل من الدولة، وإنّما على العكس من هذا، لديه موارد اقتصادية ومهنيّة تمكّنه من ممارسة الاستقلالية المهنية، لكنّه يختار أن يكون مجنّداً لا للحكومات الإسرائيليّة بعينها، بل للرؤية التي صنعت هذه الحكومات، وهي الصهيونيّة المبنية على روايات سياسيّة ودينية على حدّ سواء، والتي انبثقت عنها دولة إسرائيل وأجهزتها الأمنيّة. قد يفسر هذا انحياز مؤسسات الدولة أثناء الصراعات، وأنّ البيانات الصادرة عن الأجهزة الأمنيّة يمثّل الحقيقة بعينها، وكل من لا يتبنّى هذه الرؤية يجد نفسه خارج السرب، هكذا يجد الصحافيّ جدعون ليفي نفسه تحت التهديد (يمشي تحت حراسة)، علماً بأنّه لم يكتب يوماً مقالاً مناهضاً للصهيونيّة، لكنّه «تجرّأ» على انتقاد المجتمع الإسرائيليّ وحكومته وتعاطيهما مع الفلسطينيّين. ولنفس السبب، يتحول محلل الشؤون العسكريّة في القناة الإسرائيليّة الثانية روني دانئيل، إلى «معبود الجماهير» لمواقفه المعسكرة الصارمة ضد «الطرف الآخر» المعادي لإسرائيل.

2. موقع «والا» يطلق حملة «أنا إسرائيليّ أولاً»، 29.7.2014، <http://b.walla.co.il/item/2770410>

• الإعلام الإسرائيلي: هكذا تقول الرواية! •

أثناء الأحداث الأخيرة التي انفجرت في القدس (تشرين الأوّل -2015) كان «الإسرائيليّ أولاً» يخيّم على التغطية الإعلامية. لقد تنازلت وسائل الإعلام الإسرائيليّة عن دور الإعلام الكلاسيكي في طرح أسئلة صعبة، وبخاصّة ضمن ما صار يعرف بـ «هجمات الطعن». أشرطة مصوّرة كثيرة أظهرت ما هو مخالف لما تدّعيه الأجهزة الأمنيّة الإسرائيليّة، لكن وسائل الإعلام العبريّة تبنت رؤية الأجهزة الأمنيّة دون التمهّص في المادة الإعلامية الكامنة في الرأى المخالف. من الأمثلة الكثيرة، كُشف عن فيديو يطرح تساؤلات حول المرأة الفلسطينية ثروت الشعراوي (72 عاماً) التي قتلها جنود إسرائيليّون في الخليل في 6.11.2015 مدّعين أنّها حاولت دهس جنود، وبيّن الفيديو أنّ المرأة دخلت فعلاً مسار الجنود لكن سرعتها كانت منخفضة ولا تجزم الصورة أنّها أرادت فعلاً قتل الجنود. وبدلاً من أن يفتح الإعلام تحقيقاً بهذا الشأن، اختار تبني رؤية الجيش الذي يبحث عمّن سرّب هذا الفيديو. كذلك الأمر بشأن فيديو الشاب المقدسي فادي علون (من سكان حيّ العيساوية في القدس الشرقية)، حيث أظهر فيديو مصوّر لحظة إطلاق النار عليه في 4.10.2015 دون إثبات ما إذا كان علون قد شكّل خطراً فعلاً، أو قد حمل السكن أصلاً. وكذلك هو الأمر بشأن الفتاة إسراء عابد (من الناصرة) التي أطلقت الشرطة عليها النار في محطة الحافلات في العفولة بتاريخ 9.10.2015، وتبين في ما بعد، ومن تحقيق إسرائيليّ، أنّها لم تنو تنفيذ عملية كما ادّعت الأجهزة الأمنيّة.

لم يفتح الإعلام الإسرائيليّ نقاشاً جدّياً حول دعوة السياسيّين للمواطنين إلى حمل السلاح، علماً بأنّ التسلّح هو مسألة اجتماعيّة قبل أن تكون سياسيّة: ماذا سيحدث لهذه الأسلحة والتراخيص أثناء هدوء الجبهات الأمنيّة؟ لا إجابات شافية؛ فقد انشغل الإعلام الإسرائيليّ بإجراء مقابلات مع من «أحبطوا» عمليات الطعن وتحويلهم إلى أبطال، أما سائر الإشكاليات والتساؤلات عن مجتمع صار مدججاً بالسلاح، فباتت أسئلة مؤجّلة في مقابل «أمن الإسرائيليّ أولاً».

قضية «الإسرائيليّ أولاً» طرحها مغال، وعارضها إعلاميّون إسرائيليّون آنذاك لكونها تضرّ بحريّة التعبير في «واحة الديمقراطية». لكن في الحقيقة، ما طرحه مغال ليس غريباً عن غالبية وسائل الإعلام الإسرائيليّة التي تتبنى حملة «الإسرائيليّ أولاً» دون الاعتراف بأنهم جزء من هذه الحملة.

إذاً «الإسرائيليّ أولاً» هي رؤية صلبة ومتينة توحد الأغلبية العظمى من وسائل الإعلام الإسرائيليّة، وتتجلى واضحة في الصراعات الأمنيّة بين الإسرائيليّ و «الأخر» الفلسطينيّ.



(2)

«هنا الشيخ مؤنس»

التعاطي الإسرائيلي، والإعلامي على وجه التحديد، مع الفلسطينيين في إسرائيل، يندرج ضمن «الإسرائيلي» و «الأخر». يتعامل الإعلام العبري مع الفلسطينيين مواطني إسرائيل من منظور الصراع السياسي لا من منظور المواطنة. فالإعلام العبري بغالبيته، وعندما يغطي قضايا مدنيّة أو خدماتية اقتصادية، يستثني وجود الفلسطينيين في إسرائيل من جميع القضايا، لكن تسلط الضوء يأتي أكثر ما يأتي عند احتدام الصراع، وعندما يبحث الإعلام العبري عن سجال مثير، ويظهر العرب في وسائل الإعلام العبرية في خانة «الأخر» (المُعادي طبعًا). في غالبية وسائل الإعلام العبرية، وعند مقابلة السياسيين العرب، تنكسر أدوات الحوار نهائيًا، وينحدر الإعلاميون الإسرائيليون، وتحديدًا أثناء الأحداث الأمنيّة، إلى درك تندثر فيه الحدود بين منتخب جمهور وصحافي، ويسمح الصحافي لنفسه أن يتحدث إلى السياسي العربي بلغة لا يمكن أن يستخدمها ضد سياسي إسرائيلي.

لم يتورّع الصحافيّ دان مرغليت عن وصف النائب جمال زحالقة بـ «الوقح»، لأنّ الأخير هاجم وزير الأمن السابق إيهود باراك، ولم تتردد محلة الشؤون الحزبية رينا متسليح من التهجّم على رئيس القائمة المشتركة أيمن عودة لأنه لم «يستنكر» أقوالاً معادية للصهيونيّة صدرت عن ناشط سياسي آخر من حزب عودة، على الرغم من التصريحات المسالمة التي أدلى بها عودة. والأمثلة عديدة.

الإعلام الإسرائيلي، تمامًا مثل المؤسسة الإسرائيليّة، يرغب في وجود عربيّ «يقدرّ نعمة الديمقراطية الإسرائيليّة»، في حين تتحول القضايا التي تبين ارتباط الفلسطينيين في إسرائيل مع الفلسطينيين في الضفة والقِطاع والعالم العربيّ إلى مادة خصبة للصراع. كل تصريح من سياسيّ حول الحقّ في المسكن أو الاحتجاج يتحول إلى مادة متفجّرة.

يكمن سبب التفجير في أنّ مثل هذه القضايا تربط الفلسطينيين في إسرائيل برواية تاريخيّة مناقضة للرواية التي يدعمها الإعلام العبري. بذلك يتحول الصراع في الأستوديو إلى صراع روايات، وينأى الأمر عن أن يكون مقابلة صحافيّة. وليس من باب المصادفة أنّ النائب جمال زحالقة، عندما احتدم نقاشه مع دان مرغليت، قال له زحالقة في النهاية «هنا الشيخ مؤنس» (قرية فلسطينيّة مهجّرة). وهذا يعني أن المقابلة ترجمت تحديًا تاريخيًا بين من يريد إثبات روايته ومن يحاول جاهدًا إنكارها.

• الإعلام الإسرائيلي: هكذا تقول الرواية! •

الفلسطينيون الوحيدون الذين ينالون مساحة للتعبير عن رأيهم هم أولئك الذي يعزّزون رؤية المؤسسة الإسرائيلية، ويهاجمون القيادة العربيّة و «انشغالها بالقضية الفلسطينية عوضاً عن الانشغال بقضايا الناس». يحظى هؤلاء، في المعتاد، باستضافة هادئة، ويُمنحون حق الكلام دون مقاطعة، لا لأنّ كلامهم عبقرّي وتصريحاتهم مثيرة، بل لأنهم يدعمون رؤية المؤسسة الإسرائيليّة التي تحاول حصر القيادة العربيّة في خانة الخدمات (علمًا بأنّ تعاطي الإعلام العبري مع الخدمات للفلسطينيين في إسرائيل يكاد يكون معدومًا) والابتعاد عن الرواية التاريخيّة أو الصراعات السياسيّة؛ أي تجريد الفلسطينيين من محيطه الفلسطيني والعربيّ.

لهذا السبب تشتهر صحافيّة مثل لوسي هريش، وتُمنح الفرصة لإيقاد «شعلة الاستقلال»، وهكذا تشتهر المغنية ميرا عوض لأنها «مختلفة» وتمثّل إسرائيل في المهرجان الغنائي «يوروفيجين» بعد الحرب على قطاع غزة عام 2009، والأمثلة لا تنتهي. هؤلاء، بالنسبة للإعلام العبري، يمثلون العربيّ المنشغل بـ «إسرائيليتته»، لا العربيّ «المتطرّف» الباحث عن حقوقه القوميّة وروايته التاريخيّة.

من هنا يمكن القول إنّ الرواية التاريخيّة تكون حاضرة في غالبية المقابلات التي يُجريها الإعلام الإسرائيليّ مع الفلسطينيين وتتحول إلى وصفة للصراع، لكن من يتنازل عن هذه الرواية يتحوّل إلى نجم في الإعلام الإسرائيليّ.

خاتمة: العرب والإعلام الإسرائيليّ

استطاع الإعلام الإسرائيليّ أن يحقق إنجازات جيّدة على الصعيد الداخليّ، وقام بدور مركزيّ في عدّة فضائح هزّت أركان الدولة، لكن في القضايا الجوهرية المتعلقة بوجود الصراع مع الفلسطينيين والعرب، لا يزال الإعلام الإسرائيليّ تابعًا للمؤسسة، ويتّبع، ربما دون دراية، الرؤية الأمنيّة والسياسيّة العليا حتّى في خضمّ الخلاف مع مهندسي هذه السياسات.

لعل المثال الأبرز هو صحيفة «يديعوت أحرونوت» التي تكنّ الضغينة لرئيس الوزراء الإسرائيليّ بنيامين نتنياهو، بسبب دعم الأخير لصحيفة «يسرائيل هيوم» المنافسة. لكن «يديعوت» هذه، التي تبحث عن كل طرف خيط من أجل الإطاحة بنتنياهو، انجرت من وراء بيانات الأجهزة الأمنيّة، وقد اتخذ موقع الصحيفة الإلكترونيّ مواقف أشدّ يمينيّة أثناء الأحداث الأخيرة في القدس. فالصحيفة التي أكثرت من انتقاد نتنياهو، لم توجّه له انتقادات لسياسته مع الفلسطينيين بشكل واضح.

• الإعلام الإسرائيلي: هكذا تقول الرواية! •

لكنّ الصورة أعلاه لا تصل -في المعتاد- إلى المحيط العربيّ، نظرًا لحاجز اللغة، إذ يتّكل الإعلام العربيّ عمومًا على ترجمات لمقالات إسرائيلية تلائم رؤية الجهة الناشرة والمترجمة، علمًا بأنّ هذا لا يعكس الصورة كاملة بل يعكس جزءًا منها. علاوة على ذلك، الانطباع السائد لدى العرب المتابعين للإعلام العربيّ هو أنّ اليسارية تصبغ الإعلام الإسرائيليّ، خصوصًا في ما يتعلّق بالقضايا السياسيّة والاقتصاديّة، فضلًا عن الاعتراف عربيًّا بـ «قوّة الإعلام» الإسرائيليّ. الأهمّ أنّ النقاش الداخلي الإسرائيليّ لا ينعكس على التعاطي الإسرائيليّ العربيّ. أضف إلى كلّ هذا أنّ غالبية الترجمات تجري أو تُنقل عن صحيفة «هآرتس» اليسارية، مع أنّ هذه الصحيفة على وجه الخصوص من أقلّ الصحف انتشارًا في إسرائيل، وتخطب شريحة صغيرة جدًّا من المجتمع الإسرائيليّ، وغالبية كتّاب الصحيفة قلقون على الصهيونيّة من ممارسات التيار المركزيّ فيها. هم لا يناقشون المبدأ، بل يناقشون تطبيقه.

في الحقيقة، يشهد الإعلام العربيّ مؤخرًا انحيازًا أقوى نحو اليمين، وهو ما يتماشى مع رؤية الحكومة الإسرائيليّة، وبدأت بنيته تتغيّر بصورة واضحة للعيان. يعود هذا إلى قضيّة الملكيّة والاقتصاد السياسيّ التي سنخصّص لها ورقة مستقبلًا.

على الجملة، يمكن القول إنه منذ قيام إسرائيل خدم الإعلام الإسرائيليّ السياسة الإسرائيليّة بكل ممارساتها. والقضية لا تقتصر فقط على الصحف الكبرى، بل تتجاوزها إلى الصحف والإذاعات العربيّة والعبريّة على حدّ سواء، التي خلقها السياسيّون من أجل كّي الوعي وبلورة رواية جديدة للفلسطينيّ تحديداً، تبدأ مع بدء إسرائيل.

صحيح أنّ هنالك صحفًا وصحافيّين استطاعوا ضرب مبدأ الدولة والرقابة العسكرية، وخرجوا عن الإجماع القائم، لكن هذه الصحف لا وجود لها اليوم؛ إذ لا تزال السياسة في إسرائيل أقوى من المؤسّسة الإعلاميّة، ولا يزال الإعلام بمثابة ترجمة لهذه السياسات على الأرض، يتابعها ويناقشها لكن دون أن يغيّرها أو يدعو إلى تغييرها، ولا سيّما في حالات التوتّرات الأمنيّة والمواجهة مع «الأخر» -الفلسطينيّ والعربيّ.